(٤)

الصهيونية
الحل العنصري للمشكلة اليهودية

obeikan.com

الصهيونية أيديولوجية سياسية نشأت في القرن التاسع عشر، تطالب وتسعى لتوطين اليهود في فلسطين باعتبارها «أرض الميعاد»!! كوسيلة لحل المشكلة اليهودية. وقد بدأت إرهاصات الصهيونية مع كتابات «موشي هس» (١٨١٢-١٨٧٥) الذي ألف كتاباً سماه «روما والقدس» دعا فيه إلى بعث «القومية اليهودية» في القدس بعد "تحريرها". وكذلك كتابات «تسفي هيرش كاليشر» (١٨٦٥-١٨٧٤) الذي كان كتابه «السعي لصهيون» والذي نشره عام ١٨٦٢، أول كتاب عبري في العصر الحديث يتحدث عن الاستيطان الزراعي في فلسطين. وبالاضافة إلى الكتابات المبكرة، ظهرت جماعات مثل جماعة «أحباء صهيون» متبنية فكرة الهجرة الاستيطانية إلى فلسطين.(١)

لذا، فإن المنهج التاريخي لنشأة الصهيونية، وكما أشرنا في حيز سابق من هذا المبحث، يحتاج إلى تتبع الأصول الأولى لنشأتها، كي يتسنى لنا الربط بينها وبين المناخ الفكري الذي كان سائداً في أوروبا وروسيا قبل الثورة البلشفية (١٩١٧)، ليتم تحديد نمط الصلات العضوية الوثيقة لهذا المناخ الفكري بالعنصرية الصهيوية، التي اعتمدها المفكر اليهودي «آشرغنزبرغ» واضع «بروتوكولات حكماء صهيون»، وأستاذ «ثيودور هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية.

برز «آشر غنزبرغ» كاتباً ناقداً في بيئة يهودية، واختار لنفسه اسماً قلمياً (أحدها عام). ولد ونشأ في مدينة «أوديسا» في جمهورية أوكرانيا على البحر الأسود. وأوديسا كانت دائماً موئلاً من موائل اليهود في العنف والإرهاب منذ قرون. ولد سنة ١٨٥٦ في أوديسا ومات في تل أبيب سنة ١٩٢٧.(٢)

يقول «آشر غنزبرغ» إن بعث اليهود يجب أن يستند إلى بعث الروح اليهودية العنيفة وخلق روح الاقتحام، للوصول إلى أرض يجتمع فيها اليهود. وهذا معناه: الدم، أي القتل والإبادة، والتدمير والهيئات السرية، أي العصابات؛ ومن هنا نبت الإرهاب مع ظهور تلك العصابات مثل عصابة المنظمة القومية العسكرية «إرغون» التي كان على رأسها الإرهابي «مناحيم بيغن». ومن إرغون ظهرت عصابة منظمة

---

(١) السيد ياسين، تشريح العقل «الإسرائيلي»، ميريت للنشر والمعلومات - القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٦-١٧، وانظر: السيد ياسين وعلي الدين هلال وآخرين، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، معهد الدراسات والبحوث، العربية - القاهرة ١٩٧٥.

(٢) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال للدراسات - بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٦، ص ٤١.

«شتيرن» نسبة إلى الإرهابي «شتيرن»، التي ارتكبت المذابح والمجازر الوحشية في فلسطين، رافعة لواء روح الاقتحام في القتل والإبادة والتدمير، حيث كانت الوكالة اليهودية، إبان الانتداب البريطاني على فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ثم الكيان الصهيوني بعد ذلك، وراء حوادث تخطيط الإرهاب وتنفيذه.

وكان يعاصر «أحدها عام ـ آشرغنزبرغ» من أهل الفكر وعلى هذا الطراز، يهودي آخر، ومن أوديسا أيضاً، هو «ليون بنسكر». كان هذا المفكر اليهودي متأثراً بالاصلاحات التي منحها القيصر اسكندر الثاني (١٨٥٥-١٨٨١) باعتناقه للثقافة الروسية وإحلالها محل لغة «اليديش» (لغة اليهود في شرق أوروبا وجنوبها).[١] فحلت الروسية محل «اليديش» ومحل العبرية أيضاً.

وكانت لهذا المنهج وهذا الاتجاه من «ليون بنسكر» في قبول الإندماج أرضيته ومجاله في ألمانيا، إذ تبقى العبرية هناك مع الإندماج، لغة الطقوس الدينية. لكن، وبعد مقتل القيصر سنة ١٨٨١، واليهود هم المتهمون باغتياله، وبعد أن راحت الحكومة القيصرية تبطش باليهود، تراجع «بنسكر» عن مخططه ودعوته إلى التمسك بعُرى يهوديته، كما فعل من بعده «هرتزل». وفي كتابه «التحرر الذاتي»، دعا «بنسكر»[٢] (١٨٨٢) اليهود إلى مزيد من الوعي قبل أن يطلبوا إنشاء وطن مادي؛ وشرطه في اختيار الأرض أن لا تكون مشغولة بسكان يقطنونها وليست متنازعاً عليها. وانبثقت خلال مؤتمر دعا إليه «بنسكر» مؤسسة تُعنى بجمع الأموال، تحت شعار: إدفع دولاراً تقتل عربياً.

أما «أحدها عام ـ آشرغنزبرغ»، فقد كان وكيلاً لشركة «وسوطزكي» اليهودية، وهي أكبر شركة للشاي في أوديسا. ولما نمت فروعها في الخارج، انتدِب «أحدها عام» ليتولى إدارة أعمالها في العاصمة البريطانية لندن.[٣]

ولما دوّن «وايزمن» مذكراته في العام ١٩٤٨، كان وفياً لأستاذه الروحي «أحدها عام» واضع «بروتوكولات حكماء صهيون»، فقال «إن القيم.! الصحيحة والمعنوية للحركة الصهيونية، هي: الكرامة اليهودية.. والحرية اليهودية ـ أو الحرية الذاتية.. والتحرر الذاتي اليهودي.. وحكماء صهيون»، المسرحية المحزنة التي عُرفت بالمؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم.[٤]

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢. و«اليديش» خليط أكثره من كلام عبري وألماني، مثل كلمة «جويش» بالانكليزية.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢-٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٧.

ويتحدث «وايزمن» عن تأثير كتابات ومقالات «أحدها عام» في خلق روح الدم الجديد الذي ظهر في المنظمات ـ العصابات ـ السرية في فلسطين منذ إعلان وعد بلفور. فالهاجناه «الدفاع القومي» ومنظمات جابوتنسكي ومناحيم بيغن وشتيرن كلها سارت على مبادئ الاقتحام البربري والقوة العسكرية. وأصبحت كلها اليوم في هذا الكيان الاستيطاني في فلسطين المحتلة ملحقة بهذه العقائد التي تنحصر وتصب في فكرة التجمع والاقتحام، في منتدى يهودي تحت اسم «بني موسى» يبث في الشباب اليهود الروح الجديدة، التجمع والإقتحام، ليتولوا قيادة الحركة الصهيونية الروسية.(١) والصهيونية قفاز خارجي لليهودية العالمية، كما أن الصهيونية والماسونية سواء. واليهودية العالمية حركة سرية نبتت من التلمود الذي كان في الأصل بضع مجلدات، فصار منذ (٨) قرون (١٢) مجلداً، ثم أصبح اليوم في الإنجليزية (٣٦) مجلداً. ومن التلمود، مستودع شرور اليهود هذا، استمد واضعو بروتوكولات حكماء صهيون، في العقد الأخير من القرن الماضي، روح سفك الدماء ـ التجمع والاقتحام ـ تطبيقاً لدستور البروتوكولات، لتكون البروتوكولات المخطط الذي وضعه رجال المال والاقتصاد اليهود، بمنارتهم «أحدها عام ـ آشرغنزبرغ»، لتخريب المسيحية والبابوية والسير في تيار الحركة الصهيونية، ثم "تخريب الاسلام"، إن استطاعوا، ببذر الفساد والفتن الإثنية والعرقية، لاعتقادهم بأنهم سيستولون على العالم ويقيمون فيه ملكاً يهودياً داودياً، له من الحيلة والوسيلة والنفوذ ما يمكّنهم، رغم أنهم أقليّة، من حكم العالم والتسلط عليه. وبداية هذا المخطط احتلال فلسطين، ومن ثم من النيل الى الفرات وبعدها السيطره الكليّة.

وانطلاقاً من سياسة التجمع والاقتحام وسفك الدماء وتطبيقاً لدستور الحركة الصهيونية (البروتوكولات) والتضليل والعدوان والسيطرة التي تتبناها، كانت تغذية نزعة معاداة السامية تتم فعلاً من خلال الدعم المطلق لتلك السياسة التي لم تعد تحتفظ من الديانة اليهودية إلاّ بذرائع مستقاة من تفسير متعسف يبرز هذه السياسة الشريرة والعدوانية والعنصرية التي التقت الغرب فتكيّف معها، بقدّه وقديده، ليجعلها فوق القوانين الدولية، وذلك بإضفاء طابع القداسة عليها استناداً إلى خرافات الماضي والحاضر، بأساطير اللاهوتية.

(سأعطي نسلك هذه الأرض، من وادي العريش الى النهر الكبير، نهر الفرات).(٢)
«سفر التكوين: الإصحاح ١٥، الآية ١٨».

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٢) روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق ـ القاهرة ١٩٩٩ ص ٣٧-٤١.

وفي القراءة المتزمتة للصهيونية السياسية، نجد أن كيانها الصهيوني ما هو إلا تعريف سياسي لمصطلح الدولة المارقة، الخارجة على القوانين والأعراف والشرائع السماوية والدولية، ويعتبر نفسه فوق الشرعية الدولية التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة.

وقد حاولت الولايات المتحدة خلال العقدين الأخيرين إطلاق تعريف «الدولة المارقة» على الدول الرافضة لسياساتها أو الخارجة على إرادتها أو الممانعة للمنطق الهيمني الإمبراطوري الأمريكي.

وفي قراءة روح سفك الدماء والتوسع والسيطرة التي تتبدّى في قراءات الحركة الصهيونية، يقول الإرهابي «موشى ديان» وزير حرب الكيان إبان حرب يونيو ١٩٦٧: «إذا كنا نملك التوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة».(١)

وبعد مرور ما يزيد عن تسعين عاماً على وعد بلفور (آرثر جيمس بلفور) وزير الخارجية البريطاني، تواصل دول الاستعمار القديم (بريطانيا، فرنسا، إيطاليا وبلجيكا.. الخ)، إنما بقيادة أمريكية، ما يعرف بالاستعمار الجديد؛ مشاركة الصهاينة عدوانيتهم، في سياسة محاولات شطب الشعب الفلسطيني من التاريخ والجغرافيا والسياسة، وبنظرة استعلائية عبر دعم مطالبة الكيان الصهيوني للفلسطينيين والعرب، الاعتراف بـ «الكيان» بصفته «دولة للشعب اليهودي». وهذا ما يذكّرنا بأن جذور فكرة التطهير العرقي والإبادة الجماعية والاستيلاء على الأراضي، وهي أحلام البدايات التي قامت على الاستعلاء والعنصرية وسرقة الموارد الاقتصادية، تعود إلى ما قبل عام ١٩٤٨. فالوقائع التاريخية تؤكد أن فكرة الاستيطان لفلسطين ولدت من رحم الحركة الاستعمارية الأوروبية، التي جاءت على شكل إخلاء، وأحياناً إبادة، شعوب بكاملها في قارات أمريكا وأفريقيا وأستراليا وآسيا. فقد ظهرت فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين قبل ظهور صيغتها الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر، بدعوة بريطانية فرنسية، بينما كان المشروع الصهيوني مازال - قيد الجدل – لتكون هذه الفكرة امتداد أحلام البدايات التي قامت على فكرة "فوقية" الرجل الأبيض والعنصرية والتطهير العرقي؛ ولتكون الأساس كذلك الذي شكّل الدولة الأمريكية، بفعل أسلوب القرصنة السياسية والعسكرية والعربدة الحالية.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١، بالأساس: صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية، ١٠ أغسطس/آب ١٩٦٧.

لقد انتهجت دول الاستعمار الغربي عموماً، وبريطانيا خصوصاً، والولايات المتحدة الأمريكية لاحقاً، سياسة قديمة جديدة، فرِّق تسد، سياسة السطوة العسكرية والاقتصادية، والابتزاز والهيمنة، لإعاقة وحدة العرب، بل بلغت حد التآمر على الوحدة العربية النواة ـ المصرية السورية ـ عام ١٩٥٨، بأموال وأدوات عربية! وانتهجت قبل ذلك خلق الكيان السرطاني في فلسطين ليكون رأس المشروع الإمبراطوري الأمريكي؛ هذا الكيان الذي يعتبره عضو البرلمان الهولندي «خيرط ويلدرز» خط الدفاع الأول للغرب في الحرب مقابل الإسلام(١). لقد تجسدت هذه السياسة واضحة في اتفاقية «سايكس ـ بيكو» التجزيئية عام ١٩١٦، وفي وعد بلفور الذي منح اليهود وطناً قومياً في فلسطين؛ كما تجسّدت على الأرض في الحل النهائي الذي يقوم على إخلاء أوروبا من اليهود، بإحلالهم وتوطينهم خارج أوروبا عبر موجات من الهجرة اليهودية المتتالية إلى فلسطين. وقد أقامت طلائع هؤلاء المهاجرين، تحت سمع وبصر سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين، مؤسسات زراعية وتعليمية وعسكرية (كيبوتسات) وصولاً إلى النكبة عام ١٩٤٨، وما حلّ يومها بشعب فلسطين من عمليات ترويع وترهيب وقتل وتطهير عرقي منقطعة النظير، وضعت العالم ومنظمة الأمم المتحدة وميثاقها، والعرب خصوصاً، وشعب فلسطين على نحو أخص، أمام عملية نهب وتزوير كبرى في التاريخ المعاصر، تحت شعار مزعوم «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض». وقد شكّل ذلك منعطفاً نوعياً في الصراع بين الحركة الصهيونية وحركة التحرر العربية والفلسطينية، وهو المنعطف الذي شكّل جذر الصراع وجوهره، الذي لن تقوى على معالجته أية محاولات لتفريغه، كأن يقال إن القضية الفلسطينية بدأت عام ١٩٦٧ باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة وأراضٍ عربية أخرى. فالقضية تعود إلى مرحلة سابقة ومَعلماها الأبرز هما الإبادة الجماعية والتطهير العرقي اللذان تعرض لهما الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨، والذي أثبته بالوثائق كل من روجيه جارودي ووليم غاي كار وديفيد هارفي وجيف سيمونز وعجاج نويهض ومحمد حسنين هيكل ومحمد عابد الجابري والسيد ياسين ووليد الخالدي وأنيس صايغ وأحمد الشقيري وأكرم زعيتر وعبدالعزيز الدوري وأحمد صدقي الدجاني وهيثم الكيلاني واسماعيل صبري عبدالله وأحمد يوسف أحمد وبرهان غليون وأنطوان زحلان وعبدالحي زلوم وبول سالم وغيرهم، إضافة إلى مفكرين يهود، أمثال: نعوم تشومسكي وألفريد ليلينثال، وحديثاً إيلان بابيه. وتجدر

(١) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٩٦، تاريخ ٢٠١٠/١١/٩.

الإشارة إلى أن ألفريد ليلينثال قال في مقابلة مع مجلة "PALESTINE" الصادرة عن "الإعلام الفلسطيني الموحد" في بيروت عام ١٩٧٩، أنه كتب مقالة في مجلة "ريدرز دايجست" الأمريكية إثر الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨ قال فيها "إن علم إسرائيل ليس علمي" (THE FLAG OF ISRAEL IS NOT MINE).

من هنا نكتشف الصلة الوثيقة بين العنصرية والاستعمار بشكليه القديم والإمبراطوري الجديد. ولذلك ليس غريباً أن نجد أن الصهيونية، باعتبارها أيديولوجية عنصرية، وحركة سياسية قام على أساسها الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، هي نموذج تطبيق عقيدة التجمع والاقتحام التي كان «أحدها عام ـ آشرغنزبرغ» صاحب إعدادها وواضع منهجها وفيلسوف فكرتها. وقد مر معنا الكلام عن «أحدها عام» في موضعه، ونوجز هنا بداية تطبيق المخطط في فلسطين بإيراد المزيد من خبر « فلاديمير جابوتنسكي» الذي كان مع زمرة من رفقته من أول المنادين، منذ المؤتمر الأول للحركة الصهيونية الذي عقده «ثيودور هرتزل» في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧، مؤتمر، بأن تتكون المملكة اليهودية المزعومة من فلسطين ومن شرق الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية) بداية، لتتسع بعد ذلك من النيل إلى الفرات. ولد «جابوتنسكي» سنة ١٨٨٠ في مدينة أوديسا الأوكرانية على البحر الأسود التي ينتمي إليها أيضاً «أحدها عام ـ آشرغنزبرغ». وهي أكبر أوكار التلمود التي اشتهرت في القرون الأخيرة في تاريخ الحركات السرية الإرهابية اليهودية. وخرج من هذه المدينة كذلك «أوسشكين» زميل «حاييم وايزمن»، والمفكر الصهيوني «بنسكر» صاحب كتاب «التحرر الذاتي» وشاعر الصهيونية والنافخ في بوق النهضة اليهودية «حاييم نحمان بياليك»(١). و«جابوتنسكي» من المنادين أيضاً بأن الوصول إلى المملكة اليهودية يجب أن يتم من خلال التجمع والاقتحام، أي بالقوة المسلحة وسفك الدماء. وبعد مدة انتقل «جابوتنسكي» إلى لندن حيث عمل على تجنيد فيلق يهودي للغاية ذاتها، مدعوماً من «وايزمن» وزعيم صهيوني آخر هو «يوسف كوين»، رئيس الاتحاد الصهيوني البريطاني. واشترك «جابوتنسكي» مع «وايزمن» في الشوط كله حتى صدور وعد بلفور البريطاني أواخر ١٩١٧، بعد مساومات في لندن، باسم القوة الصهيونية الخفية. وكان زعماء الصهيونية قد وصلوا إلى فلسطين عن طريق اسطنبول. وتزامن ذلك مع دخول تركيا الحرب العالمية الأولى إلى جانب المانيا (٥ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٤).

---

(١) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال للدراسات ـ بيروت، ١٩٩٦، ص ٨٣–٨٦.

ويعود نجاح السياسة الصهيونية في الدولة العثمانية إلى تمكن القادة الصهاينة من استمالة عدد من كبار الساسة الأتراك، الذين يرجعون بأصولهم الدموية إلى اليهود الذين خرجوا من إسبانيا مع أواخر القرن الخامس عشر وعرفوا باسم «الدونمة»،[1] حيث أخذت خيوط الدعاية الصهيونية تمتد الى عصب الدولة. ولولا تنبه النواب العرب في البرلمان العثماني وارتفاع صيحاتهم لقفز الصهاينة إلى ما هو أبعد من ذلك. ومن هؤلاء النواب العرب:

- روحي الخالدي، نائب القدس ومن كبار العلماء العرب.
- شكري العسلي، نائب دمشقي، وأحد الشهداء الذين علّقهم على المشانق السّفاح أحمد جمال، القائد التركي، المعروف باسم «جمال باشا».
- نجيب نصّار، صحافي من لبنان ويقيم في مدينة حيفا بفلسطين، الذي لعب دوراً هو وجريدته، «الكرمل»، في إيقاظ العرب والكشف عن حقائق الصهيونية.

لقد تغلغل النفوذ الصهيوني إلى بواطن الدولة العثمانية في آخر انقلاب عثماني وقع سنة ١٩١٣، مع دخول تركيا الحرب إلى جانب المانيا ثم انهيارها أواخر ١٩١٨ وانسلاخ البلدان العربية عنها لتقع تحت ظلمات الانتداب البريطاني ـ الفرنسي، بفعل اتفاقية سايكس ـ بيكو. ونال اليهود أربع حقائب وزارية في الحكومة العثمانية[2]. وكان «بهاء الدين بك» المسؤول عن الشؤون اليهودية في وزارة الداخلية في اسطنبول. ولما وقعت الحرب سنة ١٩١٤، كان اليهود في فلسطين تحميهم الأيدي الخفية في بيروت مركز الولاية، أو في اسطنبول العاصمة، حيث أخذت الدولة العثمانية تشدّد الرقابة على نشاط الصهيونية، كما فعلت برلين كذلك. ثم اختير «بهاء الدين بك» لمراقبة النشاط الصهيوني في فلسطين بتعيينه قائمقام لمدينة يافا. وعلى ضوء التقرير الذي قدمه «بهاء الدين بك» إلى اسطنبول، نزلت الحكومة العثمانية عند رغبة ألمانيا وراعت مصلحتها. وبعد أن أحاطت الحرب بأوروبا، نفت من نفت من الصهيونيين، وتمكن بعضهم من الهرب والالتجاء إلى مصر، التي باتت تحت الانتداب البريطاني إثر خلع الخديوي عباس حلمي الثاني.[3]

ورغم الرقابة التي أظهرتها الحكومة العثمانية على النشاط الصهيوني، إلّا أن ممثلهم في اسطنبول «ريتشارد لختيم» لم يتورع بإسداء النصح للحكومة التركية كي

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٠–٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٢–٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٩–١٠٠.

تبدي توداً وتآلفاً مع الصهيونية، كما كان الحال مع ممثلها في برلين، وبمغريات مختلفة؛ وهذا هو شأن اليهود في التقرب من كل جهة أو دولة يأملون منها مصلحة ما، وخاصة بصدد فلسطين، منذ عهد نابليون. ولما قامت في البلاد العربية منذ العام ١٩٠٨ حركة إصلاحية تطالب الحكومة التركية بإصلاحات واسعة، إنبرى «لختيم» هذا ليبيّن للأتراك أن الصهيونية في فلسطين، ومن خلال التجمع والاقتحام، أي سفك الدماء، تشكّل الرادع للحركة العربية، والمناهض لها والعامل على إجهاضها. وفي برلين، تكفلت الصهيونية لألمانيا بنشر الثقافة والتجارة الألمانيتين في هذا الشرق؛ وتعهدت بأن تكون الصهيونية القلعة الشامخة في شرقي البحر المتوسط، وركيزة ألمانيا ومشاريعها التجارية فيها، وأن تكون دوماً بالمرصاد للعرب، وبما للصهيونية من نفوذ مالي وإعلامي، سيكون يهود أمريكا المؤازرين لألمانيا.(١) وبلغ الإطراء والإغراء مداه عندما عرض «لختيم» أيضاً عربون صداقة مع الأتراك، بتشكيل فرقة يهودية من يهود بولندا لتقاتل مع الجيش العثماني في الدفاع.. عن فلسطين، مقابل أن يُسمح لليهود بالاستيطان في فلسطين بعد الحرب.. لكن بريطانيا كانت الأوفر حظاً من المانيا، حيث نال اليهود وعد بلفور عام ١٩١٧.(٢)

بيّنا في المبحثين السابقين، وبالأمثلة الصارخة، كيف تكرر هذا النمط من السلوك في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بنشأة الحركة الصهيونية، وكيف أن الولايات المتحدة نشأت على جثث سكان البلاد الأصليين وبنت اقتصادها على نهب ثرواتهم واستعبادهم وسفك دمائهم وارتكاب المجازر بحقهم، ومن خلال القرصنة السياسية والعسكرية القائمة على الابتزاز والعدوان والهيمنة والغزو الإمبريالي العنصري والخروج على القوانين والأعراف الدولية. وقد ساد هذا السلوك وتلك السمات في أوروبا بعد عصر النهضة، إضافة إلى زرع الفتن والنعرات الإثنيه وتمزيق وتفتيت الأوطان بل واتباع سياسة تدمير الدول والإطاحة بالحكومات.. إلى آخر هذا المسلسل من الموبقات.

في النمط الأمريكي، كيف استطاعت وتمكنت «دار روتشيلد» اليهودية لرأس المال من إغراق أوروبا بالدم، بعد إرساء معالم إمبراطورية المال اليهودية، ومن استصدار قانون النقد الأمريكي المطلوب من بريطانيا حين كانت تحتل الأخيرة وتستعمر

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠١، بالأساس، عن: ن.م. جلبر، وعد بلفور وكيف ولد ١٩٣٩ والكتاب بالعبرية، ص ١٣٩، ونقله «نفيل بابر».

(٢) المصدر نفسه.

الأراضي الأمريكية، بهدف منع المستعمرات الانكليزية على الأرض الأمريكية من إصدار عملتها بنفسها، وإرغامها على الاعتماد على المصارف التابعة لإمبراطورية «روتشيلد»، واضعة مبدأ إذكاء وإنتاج الفتن والنزاعات وإذكاء الحروب وسفك الدماء (وهو النهج الذي تبنته حكومات بريطانيا والولايات المتحدة لاحقاً كسياسة مشتركة لهما)، اثناء حقب الاستعمار ـ قديمه وجديده.إنه الوجه الكولونيالي للإمبريالية الرأسمالية المعاصرة، التي عمل مؤسسوها منذ إنشائها على أن تولد كإمبراطورية؛ والتي أرست دعائمها «دار روتشيلد» اليهودية، منبع إمبراطورية المال اليهودية، التي كانت نشأتها الأولى في أوديسا في أوكرانيا، وتدرجت لتنتقل إلى المانيا وبريطانيا وأمريكا وفرنسا وغيرها من البلدان من خلال عقيدتها «بعث الروح اليهودية العنيفة وخلق روح الاقتحام»، التي اعتمدها «آشرغنزبرغ»، استاذ «هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية».

وتكرر نمط إقامة الدولة الأمريكية من خلال قيام الكيان الاستيطاني في فلسطين؛ وهذا يعني بكل جلاء أنه لن يكون ممكناً لأي من الإدارات الأمريكية، أو لأي رجل سياسة أمريكي، الوصول إلى مناصب رفيعة من دون دعم ومؤازرة أصحاب النظام والسلطة الحقيقيين وبارونات المال العالميين. وليست الإدارات الأمريكية إلاّ إدارات تنفيذية تمضي في تنفيذ وتطبيق سياسات وأجندات مواقع صنع القرار، صاحبة السلطة الحقيقية الخفية، كقيادة وسلطة ظل.

وفي وصفه لبارونات المال ـ الإمبريالية الرأسمالية المعاصرة ـ ولأخلاقيات هذه الرأسمالية التي تشكل العمود الفقري لإمبراطورية أمريكا العالمية، كتب البروفيسور «ليستر ثارو» يقول: تُعد الجريمة، طبقاً لأحد أشد التعبيرات قسوة في اخلاقيات الرأسمالية مجرد نشاط اقتصادي آخر، مع فرق واحد هو أن من يتم إلقاء القبض عليه بالجرم المشهود يدفع ثمناً باهظاً هو السجن. فليس هناك من شيء محرّم فعله، كما أنه لا وجود للواجبات أو الحقوق، إذ لا وجود ـ في أخلاقيات الرأسمالية ـ سوى لتعاملات السوق.(١)

كثيراً ما أدت ممارسات الرأسمالية الأنكلو ـ سكسونية ولا تزال "إلى الحروب والمذابح الجماعية والجرائم الفعلية، ليس في فلسطين فقط بل حتى داخل أمريكا.

---

(١) عبدالحي زلوم، أمريكا تريد والله فعّال لما يريد، عرض: جريدة الخليج الإماراتية (٦ حلقات) آخرها في العدد ١١٥٠٠ ـ ١٣ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٠.

وهنا تشير الإحصاءات إلى أن هناك أكثر من ٤٠ مليون أمريكي مصنفين تحت خط الفقر في بلد يُعدّ أغنى بلاد العالم على الإطلاق. وبالمقارنة، تصل نسبة الفقر بين فئة الأطفال الأمريكيين إلى ٢٢،٤٪، بينما لا تتعدى ٥،١٪ في الدنمارك، و ٤،٤٪ في بلجيكا، و ٤،٣٪ في بريطانيا، و٢،٦٪ في السويد. كما أن ١٪ (واحد في المئة) فقط من الأمريكيين يملكون أكثر مما يملكه ٨٠٪ من بني وطنهم. ويتوصل «ثارو» إلى نتيجة مؤداها: «فرغت الساحة العالمية للرأسمالية بعد أن تخلصت من منافسيها الرئيسيين في القرنين التاسع عشر والعشرين.. وهما الفاشية والاشتراكية والشيوعية التي اختفت عن الساحة.. ومع ذلك، وحتى مع تراجع المنافسة إلى كتب التاريخ، فإن هناك ما يعمل على زعزعة أسس الرأسمالية من الأعماق".(١)

وهكذا، وبدل أن يشق النظام الرأسمالي ـ الإمبراطوري الجديد طريقه إلى الوجود منذ حرب الكويت، اعتمدت الرأسمالية المعلوماتية، العولمة، على مبدأ أن العالم قد أصبح مسرحاً للتفتيش عن الحمقى؛ حيث كان الغرب يكسب بسبب تفوقه في استعماله للعنف المنظم، وصولاً إلى الغزو الإمبراطوري لكل من أفغانستان والعراق، الذي حلّت مكانه فوضى دولية لا تزيدها الأزمة الاقتصادية الأمريكية العاتية إلّا تفاقماً.

في المجال الإقليمي، سيسجّل مؤرخو المستقبل أن غزو العراق، الذي كان يُفترض أن يكون ـ النموذج ـ حسب تصريحات المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية التي تعهدت ونفذت الغزو الإمبراطوري، سيكون منصة الانطلاق لإقامة نظام إقليمي جديد بحراسة قوات أمريكية تحط الرحال في خاتمة المطاف في دمشق وطهران. وقد انقلب هذا النظام على نفسه وبات همّ واشنطن الرئيسي هو حماية قواتها ونفوذها في بلاد الرافدين من ضربات العزة التي توجهها المقاومة العراقية الباسلة لقوات الغزو وعملائهم ممن جاؤا بحماية الغزاة الذين قتلوا أكثر من ١٥٠ الف عراقي وأوقعوا أكثر من نصف مليون جريح وشردوا ٣ ملايين عراقي، ودمروا كل بنى ومؤسسات الدولة العراقية، ونهبوا ثروات العراقيين، وأشعلوا لهيب الصراعات المذهبية والعرقية التي نسفت ركائز المجتمع العراقي بعد الإجهاز على مرتكزات الدولة بقدراتها العلمية والعسكرية. والمستفيد الأكبر من كل هذا هو «العدو الصهيوني»، وهذا ما تحدث وكتب عنه نطاق واسع من الخبراء والمفكرين. لقد كان شن الحرب وتدمير العراق خدمة للكيان الصهيوني بقدر ما كان من أجل الحصول على النفط. وهذا ما دفع الكثيرين، وعن حق،

---

(١) المصدر نفسه.

إلى إقامة رابط تاريخي مكين بين الخطة الأمريكية – «الصهيونية» المشتركة لتوجيه الضربة القاصمة إلى مشروع عبدالناصر القومي عبر حرب ١٩٦٧، وبين غزو ٢٠٠٣ الذي نسف أسس الدولة العراقية. بمعنى منع بروز أية قوة عربية قد تشكّل تهديداً أو حتى عائقاً أو حتى منافساً للمشروع الإمبراطوري ـ الأمريكي الصهيوني؛ بمعنى أوضح، للولاية ٥١، « الكيان الصهيوني».

لكن، وبعد مرور أكثر من ستين عاماً على تأسيس هذا الكيان ـ الولاية، وامتلاكه مئات القنابل الذرية والأقمار الصناعية والصواريخ وأسلحة الدمار الشامل، ومخالفته للقانون الدولي برفضه تطبيق أي من قرارات الشرعية الدولية، أليست في هذه المطالعات في سجلات هذا الكيان الاحتلالي الاستيطاني العنصري الإرهابي، ما يكفي لتعريفه بأنه كيان مارق، أو دولة إرهاب؟

والغريب أن الإمبراطورية الأمريكية عند ذروة غلوها، بنسف أسس الدولة العراقية، وبحل الجيش العراقي ووزارات الداخلية والخارجية والإعلام، لم تكن على دراية بالتضاريس التاريخية والدينية والاجتماعية والنفسية للشعب العراقي. وتصرّفت تلك الإمبراطورية بثقافة تجربتها مع الهنود الحمر بعد أن تمكّنت من قتل «عدي وقصي» نجلَي الرئيس العراقي صدام حسين، الذي عُلّق على أعواد المشانق في بغداد الرشيد على أيدي الغزاة، ما يذكرنا بالمشانق التي أقامها القائد التركي جمال باشا السّفاح في ساحات بيروت ودمشق. وتصرفت (الإمبراطورية) كما كان يفعل قادة جماعات المهاجرين الزاحفين إلى قلب القارة الأمريكية في القرن الثامن عشر. بمعنى أن قوات الغزو الإمبراطوري، في أوائل القرن الحادي والعشرين، أرادت أن تثبت للجميع، حكاماً وشعوباً، فكرة أن الزعيم قُتل، وهو النموذج الذي نادى به الغزاة. وعلى نحو ما، فقد تبدّى في العاصمة الأمريكية واشنطن حرص شديد على احتواء توترات عاشتها الإدارة الإمريكية بين السياسيين والعسكريين. وظهرت أسئلة لعلها تعثر على إجابات في المستقبل القريب. كما ظهرت مؤشرات كانت بداياتها التقارير التي نشرها موقع «ويكيليكس» مؤخراً عن وثائق سرية أمريكية حول الغزو والحرب في العراق، وهو ما اعتبر أكبر تسريب لوثائق عسكرية سرية في التاريخ. وتضمنت تلك الوثائق اتهامات واضحة لقوات الغزو الأمريكية وحكومة نوري المالكي ولإيران بارتكاب جرائم حرب ضد الإنسانية، في أكبر فضيحة من نوعها في التاريخ الإنساني. حيث نشر موقع «ويكيليكس» وثائق تزيد على ٤٠٠

ألف وثيقة تكشف حقيقة جرائم الحرب في العراق[1] ليل الجمعة/السبت ٢٢/٢٣ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٠.

لقد مثّل الغزو الأمريكي لبلاد الرافدين واحتلالها تحت شعار «حرية العراق» جريمة القرن الحادي والعشرين، نظراً لحجم الجرائم التي ارتكبت والانتهاكات التي حصلت، والأكاذيب والأباطيل التي سيقت لتبرير الغزو، في سابقة لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، وفي وقت لا يزال المجرمون الذين خططوا ونفذوا جريمتهم أحراراً يصدرون مذكراتهم ويتباهون بإنجازهم وما ارتكبوه من جرائم يندى لها جبين الإنسانية.

ولا يشكّل ما تسرب من هذه الوثائق، إلا جزءاً يسيراً من الحقيقة. وهي بحد ذاتها تشكّل أدلة دامغة على ارتكاب قيادات أمريكية وبريطانية سياسية وعسكرية جرائم حرب ضد الإنسانية يجب ألا تبقى بمعزل عن المساءلة والعقاب. لكن العدالة الدولية التي يتغنون بها ويتحدثون عنها، تظل استنسابية تطبق في رواندا وصربيا ودارفور وفلسطين. فلا ميزة لمحتل على آخر، وليس هناك احتلال شرير واحتلال أقل شراً، فكلاهما في ارتكاب جرائم الحرب وجرائم الاحتلال سواء. وما حصل في العراق المحتل في ثمان سنوات ليس سوى عينة من المحارق التي ارتكبها ويرتكبها العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة على مدى أكثر من ستة عقود.

«لا جديد»، هذا ما كرره المسؤولون الأمريكيون، من جورج بوش وديك تشيني إلى دونالد رامسفيلد، الذين لم يروا من مستجد سوى إبداء القلق على سلامة الجنود والمسؤولين الأمريكيين. «ولا جديد» لدى الأمم المتحدة وهيئاتها القضائية، التي سبق وأبدت نشاطاً فائضاً وحماسياً لمحاكمة مجرمي الحرب في يوغسلافيا السابقة ورواندا والسودان؛ وأنشأت محكمة خاصة في لبنان (بتمويل رئيسي أمريكي) لملاحقة جرائم الاغتيال، لكنها لم تذرف دمعة واحدة على فلسطين وتشريد شعبها، والمجازر التي ارتكبت وترتكب بحقهم، ولا على مئات آلاف العراقيين الذين قضوا بسبب وحشية الاحتلال. والمذهل هنا أن الإعلام الأمريكي يجد متسعاً من الوقت للتبحر في قصة مواطن أمريكي اضطهده مدعي عام إبان عهد بوش، ولا يجد أي وقت للتطرق إلى مأساة شعب العراق، الذي قلب الغزو الإمبراطوري حياته وحوّلها إلى جحيم فاق أفران الغاز النازية وحشية.

---

(١) عدة وسائل إعلامية حول العالم نشرت الوثائق، بينها صحيفة الغارديان البريطانية ونيويورك تايمز الأمريكية ولوموند الفرنسية وديرشبيغل الألمانية والفضائيات على اختلاف مشاربها. أنظر: موقع ويكيليكس. وجريدة الخليج الإماراتية العدد ١١٤٨٠ تاريخ ٢٤/١٠/٢٠١٠.

أما الأمين العام لحلف الأطلسي «أندرس فوغ راسموسن» فقد حذر خلال مؤتمر صحفي مشترك مع المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل في برلين من تسريبات جديدة لموقع «ويكيليكس» الإلكتروني، بقوله: «مثل هذه التسريبات مؤسفة ويمكن ان تكون لها عواقب سلبية جداً لجهة سلامة الأشخاص المعنيين، ويمكن أن تعرّض حياة جنود ومدنيين للخطر».(١)

بينما لامست صحيفة «فايننشال تايمز» الصادرة في لندن هذا الواقع حين دعت إلى رفع الغطاء عن الممارسات اللاإنسانية للحرب العراقية، لكنها، وهنا المذهل مجدداً، لم تلامس ذلك انطلاقاً من اعتبارات انسانية؛ بل لأنها رأت أن اللاشفافية قد تعرقل فرص الغرب لشن الحروب لاحقاً.(٢)

وكشف صحيفة «نيويورك تايمز» أن تقريراً من ٦٠٠ صفحة، حاولت وزارة العدل الأمريكية إبقاءه سرياً لسنوات طويلة، يبين أن الاستخبارات الأمريكية ساعدت النازيين الذين هربوا من المانيا بعد الحرب العالمية الثانية على الاستقرار في الولايات المتحدة. وكان عدد هؤلاء حوالي ١٠ آلاف شخص، بينهم «آرثر رودولف»، وهو عالم عمل على برامج صواريخ في الولايات المتحدة.(٣)

ويواجه رئيس الوزراء البريطاني الأسبق «توني بلير» الاضطرار للإدلاء بشهادته أمام لجنة التحقيق في حرب العراق مرة أخرى. وقالت صحيفة «ديلي ميل» اللندنية «إن أعضاء اللجنة يعكفون على دراسة مذكرات «بلير» (رحلة) لمعرفة دوافعه بشأن المشاركة في غزو العراق.(٤)

وفي هذا السياق، يقول «جون ميجور»، وهو رئيس وزراء بريطاني سابق، إنه أيد الحرب على العراق على مضض، لأنه صدّق ما قاله رئيس وزراء بلاده (بلير) عن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل. وهو قول يلقي الضوء على عنجهية غربية نابعة من الشعور بامتلاك القوة أكثر من كونها نابعة من امتلاك الأخلاق. فقد ثبت كذب (بلير) التابع، وكما ثبت أيضاً كذب الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، الذي قادت بلاده التحالف الدولي لغزو العراق، بشأن الذرائع التي سيقت من قبَلهما (بوش وبلير) لحشد شعبيهما لتأييد الحرب. وتشكل حالة غزو العراق برهاناً دامغاً على فقدان

(١) وكالة أنباء (يو. بي. آي) أنظر: جريدة الخليج الإماراتية العدد ١١٤٧٩، ١٥/١١/٢٠١٠.
(٢) موقع فايننشال تايمز الالكتروني، ٢٤ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٠.
(٣) جريدة الخليج الإماراتية العدد ١١٥٠٢، ١٥/١١/٢٠١٠، بالأساس وكالة أنباء (يو. بي. آي).
(٤) جريدة الخليج الإماراتية العدد ١١٤٨٤، ٢٨/١٠/٢٠١٠.. ووكالات الأنباء.

السند الأخلاقي في سلوك ما يدّعيه الغرب من حضارة وديمقراطية وحقوق إنسان. فأي تصرف أخلاقي ذاك الذي يتجاهل المؤسسة الدولية التي صنعها ووعد العالم بجعلها مرجعاً لسلوكه؟ وأي سلوك أخلاقي ذاك الذي يجعل التزامه بالمبادئ رهن القوة الغاشمة وسياسة البلطجة التي يملكها؟ وأي مرجعية أخلاقية تلك التي تغض النظر عن انتهاك القوانين الدولية، بل تساعد بعض البلدان على انتهاكها، بإصرارها على رفض تطبيق أي من القرارات الدولية؛ وتشن الحروب على بلدان أخرى وترتكب المجازر والإبادة الجماعية والفصل العنصري، وتمتلك كل أنواع أسلحة الدمار الشامل؛ وباتت على قناعة بأن لا رقيب ولا حسيب عليها أو يطالها، فأي عدالة هذه؟

وكما يلتقي المطر والغبار في فضاء واحد ويهطلان معاً، تتساقط علينا العدالة ونقيضها من ظلمات الغرب الاستعماري الذي ما زال يعتقد أن الشعوب مفتونة بديمقراطيته؛ وتتبرع الولايات المتحدة الأمريكية بمليارات من الدولارات لتمويل المحكمة الدولية الخاصة بلبنان، باعتبار أن تشكيل هذه المحكمة تم بقرار من مجلس الأمن الدولي الذي تحول إلى مجلس إدارة يملك فيه المقاول الأمريكي نصيب ملك الغابة. وفي اليوم ذاته، تخرج الولايات المتحدة بتصريح تنتقد فيه مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة وتتهمه بالتحيّز ضد الكيان الصهيوني لأنه اتهم "الكيان" بانتهاك حقوق الإنسان.(١)

بهذا الموقف، تكون الولايات المتحدة الأمريكية صادقة مع نفسها لأنها تدافع عن مثالها ونموذجها. فالولايات المتحدة والكيان الصهيوني وجهان لعملة واحدة. وإذا لم تبادر الولايات المتحدة، مستميتة، إلى الدفاع عن ممارسات هذا الكيان الاستيطاني العدواني التوسعي العنصري، فإنها تكون تخون نفسها وتخرج عن نهج سياسي لا أخلاقي يعرفه العالم ويختبره في كل موقف أمريكي تجاه أي دولة أو شعب يرنو للحرية.

إن هذا الوجه الآخر للولايات المتحدة الأمريكية، الكيان الصهيوني، هو مجرد كيان دخيل أقيم على أجساد الفلسطينيين والعرب وعلى أراضيهم المسلوبة، وبدعم مالي أمريكي تجاوز ١٦٠ مليار دولار، فيما تتحدث مصادر أخرى عن أكثر من ٢٠٠

---

(١) تقرير دوري يصدر عن مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، صدر في ١٤ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٠، وسائل الأعلام، وانظر: جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٧١، ٢٠١٠/١٠/١٦ والعدد ١١٤٩٢، ٢٠١٠/١١/٥.

مليار دولار، يتحمّلها دافعو الضرائب الأمريكيون؛ كما أقيم بغطاء عسكري وسياسي أمريكي لا محدود وسط غبار الحديث عن كذبة «تجميد» الاستيطان «مؤقتاً» في مكان، وزيادته في مكان آخر، خصوصاً في القدس المحتلة. ويأتي قرار الحكومة الصهيونية بجلب ٨٠٠٠ مستوطن جديد من يهود «فلاشا» إثيوبيا في ظل مكافآت سياسية وعسكرية وعطاءات أمريكية توفر لها حماية على الصعد كافة؛ وتجميد لا يشمل الكتل الاستيطانية الكبرى، ولا يشمل القدس، مقابل ٢٠ مقاتلة من أحدث الطائرات (أف ٣٥ – ستيلث) الأمريكية وضمانات أمنية طويلة المدى، وتعهد بإحباط أي تحرك فلسطيني أو عربي لكسب التأييد، أو للحصول على دولة فلسطينية في المحافل الدولية. وهذا يعني إقتلاع عدد مماثل من أصحاب الأرض الفلسطينيين وتهجيرهم واقتطاع مساحات جديدة وسلبها والسطو على منازل أهل الأرض، وكذلك زيادة ٨٠٠٠ مستوطن إلى عسكر الاحتلال والعدوان.

وكأن ترسانة أسلحة الدمار الشامل، وغيرها من الأسلحة المتطورة، وكان آخرها هذه المكافأة (طائرات إف ٣٥ ـ ستيلث) التي لم تدخل الخدمة حتى الآن (نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٠) في سلاح الجو الأمريكي، لا تكفي هذا الكيان المعادي لإشباع شهيته في العدوان والتدمير وارتكاب المجازر؛ فعمدت الولايات المتحدة إلى زيادة حجم مخزونها من الأسلحة في الكيان من ما قيمته ٨٠٠ مليون دولار إلى ١،٢ مليار دولار حتى عام ٢٠١٢، ومعظم تلك الأسلحة صواريخ دقيقة التوجيه والإصابة تُطلق من الجو.

هذه الهدية الأمريكية يمكن للعدوانية الصهيونية أن تستخدمها متى تشاء؛ بمعنى أن الولايات المتحدة توفر للكيان مستلزمات العدوان كافة، كما حصل في حرب ١٩٧٣، حين وفرت للكيان أحدث الدبابات والأسلحة؛ وخلال عدوان يوليو/ تموز ٢٠٠٦ على لبنان، عندما أقامت واشنطن، جسراً جوياً لتزويد العدو بما يحتاجه من القنابل الذكية.

إن وضع المخزون العسكري الأمريكي لدى الكيان تحت تصرفه، يؤكد حقيقة أن أمن الكيان الصهيوني الذي لا يقف عند حد أو أي تبرير، أولوية أمريكية تجاهر بها الإدارات الأمريكية المتعاقبة؛ وتأتي في إطار ثابت يقوم على أن أمن الكيان هو جزء من الأمن القومي الأمريكي، أي أن الكيان هو الولاية الأميركية رقم ٥١ المزروعة في المنطقة العربية.

وفي اليوم الذي انتقدت فيه الولايات المتحدة مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم

المتحدة في جنيف لاتهامه الكيان الصهيوني بانتهاك حقوق الإنسان في فلسطين ولبنان، (١٤ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٠)، كان وزير الخارجية البريطاني «وليم هيغ» وهو في زيارة للكيان، يقف خاشعاً أمام نصب متحف المحرقة «يادفاشيم» في تل أبيب، حاني الرأس أحمر الوجه خجلاً، كما رؤساء وكبار المسؤولين الغربيين؛ وبلع المشكلة التي خلقها له قادة الكيان بإعلانهم تعليق الحوار الاستراتيجي مع بريطانيا إذا لم تُعدّل الأخيرة القانون البريطاني الذي يقضي بملاحقة مسؤولين صهيانة ارتكبوا جرائم حرب. وراح سليل «آرثر جيمس بلفور» أمام المراسلين والمصورين والتلفزة، يتلعثم وهو يقر ويعترف بأن القانون في بلاده فيه مشكلة.

وفي سياق الجرائم التي ترتكبها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني، وهما سواء، تكشف الوثائق التي نشرها موقع «ويكيليكس» مؤخراً وثائق سرية أمريكية حول الحرب في العراق. وما هو مهم هنا ردة فعل الإدارة الأمريكية وحكومة نوري المالكي في العراق وحكومة إيران والحلف الأطلسي، الغاضبين من نشر الوثائق. لقد عبّر عن ذلك أكثر من مسؤول بالقول: إن المعلومات ستضر بأرواح العسكريين الأمريكان، وهو قول منافٍ لأبسط الحقوق القانونية والأخلاقية لضحايا الحرب، التي تتيح لهم استدعاء ومقاضاة الجلادين أمام القضاء، وهو جوهر ما تقدمه هذه الوثائق، بما يتيح لقوى التحرر والسلم والحرية في العالم، ملاحقة ومحاكمة هؤلاء القتلة وفقاً للقانون الدولي وشرعة الأمم لمتحدة.

وتكشف الوثائق بوضوح بعضاً من حالات التشابك والتضاد في العلاقات الأمريكية ـ الإيرانية. فهي متوترة حين يتعلق الأمر بالملف النووي الإيراني وبدعم إيران لحزب الله في لبنان وحركة حماس والجهاد في فلسطين. بيد أن هذه العلاقة تتسم بالتناغم والتنسيق والتعاون حين يتعلق الأمر بالعراق وأفغانستان؛ وقد تم الكشف مؤخراً عن دعم مالي إيراني للرئيس الذي نصبّه الاحتلال الأمريكي «حامد قرضاي» في أفغانستان.

بالتوازي مع هذا التشابك والتناغم، ظهرت في الآونة الأخيرة بعض المؤشرات على أن الولايات المتحدة، التي تحتل أفغانستان، منذ غزوها الإمبراطوري لهذا البلد العريق، قد تكون مستعدة للتفاوض مع المقاومة الأفغانية بزعامة حركة طالبان؛ ولكن واشنطن لا تزال تعوّل على القوة العسكرية من أجل تعديل ميزان القوة لصالحها، لأن حركة طالبان تسيطر على نصف الأراضي الأفغانية، ما اعتبره المحللون والخبراء العسكريون بأنه استمرار للتورط الأمريكي في أفغانستان.

غير أن الباحث في مركز «كارنيغي للسلام الدولي» (جيل دورونسور) يرى أن استراتيجية القوة العسكرية لن تحقق النتائج المرجوة للتحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي فإنه لا بديل عن الدخول في مفاوضات، والمفاوضات مع حركة طالبان مؤشر إلى الإحساس بخسارة الحرب.(١)

الصهيونية شكل من أشكال العنصرية

بعد أن تطرقنا، وَفي عجالة، إلى وضع منطقتنا العربية وقضاياها في العقدين الماضيين وإلى ما يتهددها من أخطار في مواجهة هذا الغزو الامبراطوري الأمريكي، بتحالفه الغربي - الصهيوني، لابد أن نعود الى القرار رقم ٣٣٧٩ الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٧٥ الذي يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية، بعد أن دأبت الدوائر السياسيه والثقافية الغربية المناصرة للصهيونية، منذ إنشاء الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨، على تأييد السياسات الصهيونية ضد العرب، باعتبارها، أي الظاهرة الصهيونية، وفي المقام الأول، أيديولوجية عنصريه قامت على أساسها عملية الاستيطان الاستعماري في فلسطين(٢) التي أدت الى في النهاية إنشاء الكيان - الطارئ.

يحتاج المنهج التاريخي لنشأة الصهيونية إلى تتبع الأصول الأولى لنشأتها من أجل الربط بينها وبين المناخ الفكري الذي كان سائداً في أوروبا في القرن التاسع عشر، وتحديد نمط الصلات العضوية الوثيقة التي تربط بين عنصرية الصهيونية والتيار العنصري الكاسح الذي كان يسود أوروبا في ذلك الحين، مصاحباً لحركة الاستعمار العالمية وما سبقها من غزوات عنصرية، ومبرراً لها في نفس الوقت.

ولدراسة بناء المجتمع الصهيوني الراهن القائم على أساس هذه الأيديولوجية العنصرية، لابد من الاعتماد على المنهج الاجتماعي لمعرفة كيف استطاعت الصفوة السياسية الصهيونية أن تضع استراتيجية للتنشئة الاجتماعية تقوم على التعصب العنصري ضد العرب بوجه خاص، وعلى احتقار غير اليهود (الغوييم) بوجه عام.

---

(١) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٩١، ٤ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٠، عن: مقالة «جيل دورونسور»، ترجمة: صباح كنعان.

(٢) السيد ياسين، علي الدين هلال وآخرين، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، القاهرة، معهد الدراسات والبحوث العربية ١٩٧٥.

ومعنى ذلك، أنه بعد تحديد جذور العنصرية في نشأة الصهيونية ذاتها وفي بنيتها، لابد من فحص السياسات الصهيونية ذاتها كما وضعتها الصفوة السياسة الحاكمة بما تضمنته من قيم عنصرية، مما انعكس بعد ذلك على بناء المجتمع الصهيوني من ناحية، وعلى القسمات الرئيسية للشخصية الصهيونية من ناحية أخرى.

تقوم العنصرية على فكرة رئيسية مؤداها أن مجموعة محددة من البشر يتسمون بكونهم، طبيعياً، أسمى من غيرهم. وعادة ما يتم توصيف السمات المميزة للجماعة المختارة، سواء على أساس فيزيقي يتعلق بالتكوين الجسماني، أو على أساس حضاري يتعلق بإبراز السمات الثقافية التي تميز الجماعة المختارة، إضافة إلى سمات مثل العبقرية العسكرية، التفوق التكنولوجي، أو، كما يقرر الصهاينة، أن اليهود أسمى الجماعات الإنسانية لأنهم شعب الله المختار ..؛ كما وأن غلاة المفكرين الصهيونيين يقررون أن هناك فروقاً أساسية بين اليهود من ناحية وبين (الأغيار Gentiles) من ناحية أخرى. ومن هنا كانت السمة النفسية السائدة لدى اليهود وهي الشك في كل من هو غير يهودي.

وفي هذا السياق أيضاً يتم الالتقاء بين العنصرية الصهيونية وعنصرية الاستعمار الأمريكي، حيث استخدمت العنصرية لتبرير أوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية بالغة التنوع. فإذا استقرأنا تاريخ الاستعمار الأمريكي في سنواته الباكرة، على سبيل المثال، فإننا نجد أن المجتمع الأمريكي الذي كانت تسوده نزعات دينية قوية، كان لابد له أن يبحث عن تبرير لنظام العبودية الذي فرضه على الزنوج[1]، خصوصاً بعد تحويلهم الي المسيحية. فالدين المسيحي لا يسمح لمسيحي أن يمتلك ويستعبد مسيحياً آخر. فكانت العنصرية هي المخرج، على أساس أن الزنوج جنس أدنى مرتبة من البيض، مما يبرر استعبادهم.

وفي القراءة المتزمتة للصهيونية السياسية، نجد أن نقطة التحول الحاسمة في تطور الفكرة الصهيونية بدأت عام ١٨٩٦ بظهور ثيودور هرتزل، الذي لم يكن متفقاً مع «آشرغنزبرغ»[2] الذي يقول، إن بعث اليهود في هذا العصر، يجب أن يستند إلى بعث الروح اليهودية العنيفة، كالروح التي نمت في التيه على يد موسى (ع) ويشوع؛

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ولد سنة ١٨٥٦ ونشأ في مدينة أوديسا الأوكرانية وهي دائماً موئل من موائل الصهيونية في العنف والإرهاب، ومات في تل أبيب سنة ١٩٢٧.

بل يجب خلق روح الاقتحام، ومعناه الدم والسيف والتدمير والهيئات السرية.. الخ.[١] وللعلم، فإن آشر غنزبرغ أو كما كان يُعرف بالاسم «أحدها عام»، هو واضع بروتوكولات حكماء صهيون.

بينما هرتزل، بعد أن وضع كتابه (الدولة اليهودية)، وعقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول في مدينة «بازل» السويسرية في عام ١٨٩٧، أخذ يبني خطته على:

أ – الهجرة اليهودية واسعة النطاق إلى فلسطين، خاصة لما هبّ في وجهه يهود روسيا يطلبون فلسطين، وليس الأرجنتين أو شرق أفريقيا.

ب – امتلاك أرض يكون اليهود فيها أحراراً.

وبظهور «هرتزل»، بدأت نقطة التحول الحاسمة في تطور الفكرة الصهيونية، التي تحولت على يديه إلى حركة سياسية منظمة، تسعى لتحقيق أهدافها في الهجرة إلى فلسطين وتوطين اليهود فيها، باعتبارها "أرض الميعاد"، حسب زعمهم، كوسيلة لحل «المشكلة اليهودية» من المنظور الأيديولوجي للحركة الصهيونية.[٢]

أما «حاييم وايزمن» الذي كان يقود الفئة الشابة في المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧، فقد أخذ من الإثنين، «آشر غنزبرغ وهرتزل»، الروح الاقتحامية من الأول، وامتلاك الأرض من الثاني. وأول من زرع هذه العقائد في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى هو «جابوتنسكي» أستاذ «مناحيم بيغن» و«شتيرن» وسائر العاملين في صناعة الإرهاب والدم والسيف والتدمير، من أمثال «مناحيم بيغن وإسحاق شامير»[٣] اللذين اصبحا من أبرز قيادات الكيان الصهيوني.

وفي القراءة المتزمتة للصهيونية السياسية، أقدَم «مناحم بيغن» في عام ١٩٤٨، ومعه قوات منظمة «إرجون» الصهيونية، على قتل ٢٥٤ من الرجال والنساء والأطفال من أهالي قرية دير ياسين بفلسطين[٤] تبعتها مجزرة راح ضحيتها أكثر من مئتي

---

(١) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال ١٩٩٦، ص ٤٠.

(٢) السيد ياسين، تشريح العقل «الصهيوني»، ميريت للنشر والمعلومات ٢٠٠٠، ص ١٦–١٧.

(٣) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال ١٩٩٦، ص ٤٠.

(٤) إرجون: الكلمة الأولى من العبارة العبرية «إرجون تسفائي ليومي بأريتس يسرائيل» أي المنظمة العسكرية القومية في أرض الكيان، وهي منظمة يهودية مسلحة أسسها عام ١٩٣١ الأرهابي مناحيم بيغن وانتهجت أساليب العنف والإرهاب والترويع لإجبار الفلسطينيين على الرحيل عن وطنهم وتوطيد أركان الاستيطان اليهودي في فلسطين؛ وبعد إنشاء الكيان، أدمجت المنظمة في الجيش الصهيوني. أنظر: روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق ـ القاهرة ١٩٩٩ ص ٦٤.

فلسطيني بفعل غارة صهيونية تعرضت لها قرية الطنطورة قرب حيفا.

لن نخوض في عملية إقحام الأسطورة في التاريخ، والإدعاءات المرتبطة بهذا «الترقيع التاريخي» لتبرير سياسة ما، إلا في حالة واحدة، ألا وهي استخدام الروايات التوراتية كأداة. فما برحت هذه الروايات تلعب دوراً حاسماً في مصير الغرب، حيث استخدمت كستار لأشد الأعمال دموية، منذ اضطهاد اليهود على أيدي الرومان، ثم على أيدي المسيحيين؛ مروراً بالحروب الصليبية والهيمنة الاستعمارية؛ وحتى عمليات اغتصاب الأرض التي يمارسها الكيان الصهيوني ليس فقط من خلال سياسة هذا الكيان التوسعية في الشرق الأوسط فحسب، بل أيضاً من خلال نفوذ جماعات الضغط الموالية له، والتي يوجد أشدها قوة وتأثيراً في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يلعب الكيان الصهيوني دوراً أساسياً في سياسة الهيمنة العالمية والعدوان العسكري والعنصرية والإبادة والهيمنة التي تنتهجها الولايات المتحدة.

وبعد إعلان كل من بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا في ١٩٣٩، بعث «حاييم وايزمن» رئيس الوكالة اليهودية، برسالة إلى «تشمبرلين» رئيس الحكومة البريطانية يبلغه فيها وقوف اليهود وبكل قواهم وإمكاناتهم الى جانب بريطانيا ليقاتلوا من أجل الديمقراطية!! فكانت الرسالة بمثابة إعلان صريح من يهود العالم بالحرب على ألمانيا،أدت إلى احتجاز اليهود الألمان في معسكرات التجمع النازية.

وخلال عصر الفاشية تحت حكم «هتلر» في ألمانيا و«موسوليني» في إيطاليا، أبدى قادة الإرهاب الصهيوني سلوكاً يتراوح ما بين عرقلة الكفاح ضد الفاشية والسعى للتعاون مع الفاشيين. فلم يكن هدف الصهاينة إنقاذ أرواح اليهود، الذين تم احتجازهم في معسكرات التجميع النازية، بل إنشاء «دولتهم» في فلسطين.

هذا ما صرح به وأكده الإرهابي «بن غوريون» الذي تولى رئاسة أول حكومة للعدو، منذ إنشاء «الدولة اليهودية»؛ حيث كان إنشاء الدولة بالنسبة له أمراً أكثر أهمية من أرواح اليهود، ما يُقصد به المحرقة النازية، أو «الهولوكوست». وفي القراءة المتزمتة للصهيونية العنصرية، يقول الحاخام «كوهين»: «يمكن تقسيم سكان العالم الى قسمين، "الكيان الإسرائيلي" من جهة والأمم الأخرى مجتمعة من جهة أخرى، فالكيان هو الشعب المختار ...، وهذه عقيدة أساسية».(١)

إن صناعة الإرهاب التي قام بها الاحتلال اليهودي في فلسطين إبان الحرب

---

(١) روجيه جارودي، الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق ١٩٩٩ـ القاهرة، ص ٥٤ و٨٨.

العالمية الثانية، وظهور عصابات الذبح والقتل والإبادة، مثل المنظمة القومية العسكرية «إرغون تسفائي ليومي» التي كان يرأسها الإرهابي «مناحيم بيغن» والعصابة الفرعية «شتيرن» وكان يرأسها الإرهابي «شتيرن»، أثمرت المذابح والمجازر التي كانت تحمل الروح نفسها، وكذلك جميع المذابح الأخرى، كمذبحة دير ياسين، وطبريا، ووادي عربة، ومذابح عيد الميلاد في منطقة بيت لحم عام ١٩٥٢، ومذبحة قبية ١٩٥٣ ونحالين سنة ١٩٥٤، والهجوم البربري على غزة سنة ١٩٥٤ والهجوم المركّز على خانيونس سنة ١٩٥٥، وتكرار الهجوم على غزة سنة ١٩٥٦، ثم مذبحة كفر قاسم سنة ١٩٥٦، ليلة العدوان الثلاثي (البريطاني – الفرنسي – الصهيوني) على مصر، ثم العدوان الصهيوني على قرية التوافيق السورية، وغيرها[١]؛ إذ كانت الوكالة اليهودية دائماً وراء حوادث تخطيط الإرهاب الصهيوني وتنفيذه. فهذه الروح سارية في جذور المنظمات الصهيونية التي شكّلت «الكيان» أو اندمجت فيه، حتى باتت هذه الروح عقيدة إرهاب مركزية في المنظمة الكبرى أو الكيان الصهيوني في فلسطين، إضافة الى موجات الهجرة و«التهجير القسري» اليهودية من أصقاع المعمورة إلى فلسطين.

لذا، فإن إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين يتطابق ويلتقي، في الأسلوب والممارسة، مع ما قامت عليه الولايات المتحدة، حيث عرفتها الدنيا مهجراً لشرائح مختلفة ومتناقضة من البشر، عندما توالت موجات الهجرة وتنوعت الأشكال والألوان من القارة الأوروبية؛ حيث كانت من المضطهدين دينياً وسياسياً، الذين سمعوا عن أرض مفتوحة بلا نهاية وبلا حدود، ومن أفريقيا وآسيا، حتى ظهر بعد قرن ونيف على مساحة القارة الأمريكية مجتمع فريد، وخليط متنافر. فتاريخ هذا المجتمع قد بُني بداية من الاستيلاء على أراضي الهنود الحمر بالقوة ثم تدميرهم بدلاً من التعايش السلمي معهم؛ ثم التحول الى أفريقيا للبحث عن عبيد يصلحون لهم أراضيهم ويمهدون سبل الحياة لهم. كما كانت أحلام البدايات تقوم على فكرة «فوقية الرجل الأبيض» والعنصرية حيث سُفكت وأزهقت أرواح الملايين من السود والهنود الحمر على يد الأمريكي الأبيض في أشنع صورها العنصرية، كذلك لتكون هي الأساس الذي شكّل الدولة الأمريكية، كما هو أيضاً مجد أمريكا الاقتصادي الذي يتباهي به حكامها اليوم، الذي لم تصنعه إلّا بسرقة الموارد الاقتصادية ونهب ثروات الشعوب.

---

(١) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال - بيروت ١٩٩٦، ص ٤٠ - ٤١.

بيد أن الأكثر عنصرية وعدائية يتجلى حين تُبرِّر الولايات المتحدة جرائمها بدونية ضحاياها.[١]

ولو بدأنا بكشف الغطاء ما أمكن عن السر الكامن في النفس اليهودية الصهيونية، لقلنا أن الصهيونية هي القفاز الخارجي لليهودية العالمية؛ والصهيونية والماسونية اليهودية العالمية سواء. فاليهودية العالمية حركة سرية نبتت من التلمود، الذي كان بأصله بضع مجلدات، ثم هو اليوم في الإنكليزية ٣٦ مجلداً من القطع المتوسط. والتلمود مستودع شرور اليهود، الذي بدأوا يضعونه بعد نحو قرنين من جمع أسفار التوراة، التي أقفل بابها منذ ٢٢ قرناً، بعد جمع أسفارها وتداولها والرجوع من بابل. وأما التلمود فهو الذي علا على التوراة بأساطيره الغريبة. ومن التلمود استمدّ واضعو كتاب «الاستيلاء على العالم بحكومة عالمية ـ أو ما سمي ـ بروتوكولات حكماء صهيون» أفكارهم في الطبعة الانكليزية الحادية والثمانين لعام ١٩٥٨[٢]. ومن التلمود استمدّ واضعو البروتوكولات روح سفك الدماء. والبروتوكولات هي المخطط الذي وضعه رجال المال والاقتصاد اليهود للاستيلاء على العالم، مثلما أن الكيان المصطنع في الأرض المحتلة، فلسطين، هو قفاز اليهودية العالمية.

لقد بدأ الوجه الحقيقي للولايات المتحدة (الدولة المارقه Rogue State) يظهر في الأزمات ليذكّر العالم بتاريخ «الأمة.. والدولة الأمريكية»، القائمة على الإمبريالية المعاصرة ـ الرأسمالية ـ التي عمل مؤسسوها منذ إنشائها على أن تولد كإمبراطورية، وأول دعائمها امبراطورية روتشيلد (آمشل ماير روتشيلد) اليهودية[٣] إبان الاستعمار البريطاني، أي حينما كانت الولايات المتحدة ما تزال ولايات ترزح تحت نير الاستعمار البريطاني.

---

(١) جريدة الخليج الإماراتية العدد ٨٦٨٤، ٢٧ فبراير/شباط ٢٠٠٣. بالأصل دراسة للناشطة في حقوق الإنسان (أليزابيت مارتنيه) استاذة الدراسات العرقية في جامعة كاليفورنيا.

(٢) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال ـ بيروت ١٩٩٦، ص ١ ـ ٢.

(٣) انظر: الى مرجع سابق.